الفصل الأول

النبي ﷺ : نشأته ـ وأسباب فصاحته

كان العالم قبل ميلاد النبي ﷺ ، يموج في ظلمات من الفوضى ، والجهل والتأخر ، والانحطاط الخلقي والعقلي ، حتى أذن الله تعالى لهذه الظلمات أن تنقشع ، فكان ميلاده ﷺ ، إعلانًا خطيرًا بفجر جديد للبشرية ، ولقد كان ميلاده ﷺ ـ على أصح الآراء ـ يوم الاثنين ـ الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، عام الفيل ، لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة أن أعرابيًا قال : يا رسول الله : ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ : «قال ذاك يوم ولدت فيه ، وأُنزِل عليَّ فيه»[1] : وروى جابر وابن عباس قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بُعِثَ ، وفيه عرج إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات[2].

وقد ولد ﷺ يتيم الأب فلما علم جده عبد المطلب فاض قلبه سرورًا وسماه «محمدًا» ثم أتت المراضع من البادية ، فأخذته حليمة السعدية ، فأقام سنتين في الصحراء ترضعه حليمة ، وتحضنه ابنتها «الشيماء» ويجد هو ﷺ في هواء الصحراء وخشونة البادية ، ما يسرع به إلى النمو ، ويزيد في وسامة خلقه ، وحسن تكوينه ، فلما أتم السنتين ، وآن فصاله رجعته حليمة إلى أمه ، لكنه خوفًا عليه من وباء «مكة» عاد مع حليمة ليبقى في ديار بني سعد بن بكر

---

(١) انظر : البداية والنهاية ابن كثير ٢/٢٥٩ ، وانظر :السيرة النبوية ـ لابن هشام تحقيق : مصطفى السقا١/١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢/٢٦٠ .

سنتين أخريين يمرح في جو باديتها الصحو ـ الطلق لا يعرف قيدًا من قيود الروح ولا قيدًا من قيود المادة [1].

ونمضي مع الزمن في سيره ، حتى يبلغ محمد أشده ويزيد على الأربعين فيختاره الله رحمة للعالمين ، : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (الأحزاب:٤٥،٤٦). ويتنزل عليه القرآن الكريم ، وحيًا من السماء تعنو لفصاحته الأعناق ، ويسجد لبلاغته البلغاء معجزة خالدة بنمط من البلاغة فريدة ، فما قاموا له ، بل لقد بلغ من ثقة القرآن أن حكم عليهم بالعجز عن معارضته ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء:٨٨).

ويتكلم محمد بينهم بأسلوبه هو فيجدونه أفصحهم منطقًا ، وأبلغهم بيانًا ، ومع أن القوم الذين أرسل إليهم قوم لدّ ، أرباب بيان وجدل « وقد نعتوا الرسول بما شاءوا كيدا لكنهم لم يستطيعوا أن يصفوه بما ينال من فصاحته ، لأن الواقع يُكذِّب ، وبلاغة النبي ﷺ من الشهرة بمكان»[2].

قال الدكتور محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله ـ « هذا القصور الذاتي الذي قعد بهم عن مجاراته في عامة كلامه هو الذي قعد بهم عن معارضة قرآنه ، أما أن محمدا ﷺ وعلى آله وسلم كان هو أفصح العرب ، وكان له في هذه الفضيلة البيانية المقام الأول غير مزاحم ، فذلك ما لا يمار ، بل لا يمتري فيه نحن

---

(١) انظر : حياة محمد الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، محمد حسين هيكل ص ٢١١ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقانى ، والشفا : للقاضي عياض ٤٤/١ ، وانظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي دكتور شوقي ضيف : ص٥٢ .

(٢) انظر : الحديث النبوي ، الأستاذ الصباغ ص ٤٣ .

ولا أحد ممن يعرف العربية»[1] ، وقال الجاحظ : «كان إذا احتاج إلى بلاغته كان أبلغ البلغاء ، وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء»[2].

صاحب الدعوة والبلاغة :

ولما كانت معجزة القرآن معجزة بيانية ، في المقام الأول ، وقد بعث في أمة بليغة ، صناعتها حياكة القول والتفنن فيه لا عجب أن يحتاج إلى التأثير ، وشدة الأخذ ، ودعوة العرب إلى الدين ، وتأديبهم بأدبه ، ودفعهم لمحاربة أعدائه ، فكان من الله أن أيده بمعجزة أخرى هى بلاغة لسانه ، وقوة بيانه ، فكان على غير ما يعهد العرب في فصحائهم ومناطقهم لا عجب أن يؤخذوا بحديثه الجامع ، وبيانه الساحر وبلاغته المتدفقة ، وفصاحته المتمكنة[3] ، وتلك حقيقة يقررها النبي ﷺ ، اعترافًا بنعمة الله «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش»[4] ويمكننا أن نرد أسباب هذه الفصاحة إلى هذه الأمور :

١- هذه النشاة اللغوية النقية في أحضان البادية ، وبين أفصح القبائل فكان مولده في بني هاشم ، وأخواله في بني زهرة ، ورضاعه في بني سعد ابن بكر ، ومنشؤه في قريش ، ومتزوجه في بني أسد ، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة ، ولقد كان في قريش ، وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة ، ولذا قال ﷺ «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر» فكان له من اللسان العربي أفصحه ، وأبلغه بهذه النشأة البدوية القرشية الخالصة [5] .

---

(١) النبأ العظيم ، دكتور محمد عبد الله دراز ٨٨ ، وانظر : حياة محمد الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ص ٢١١، ومناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٩٨/١ ، والشفا : للقاضي عياض ٤٤/١ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢٣١/٣ ، وانظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي دكتور شوقي ضيف : ص ٥٢ .

(٣) انظر : في الأدب الإسلامي والأموي : دكتور سليمان ربيع ص ٥٣ .

(٤) انظر : المزهر للسيوطي ص ١٢٦ .

(٥) انظر : إعجاز القرآن : للرافعي ص ٣١٨ ، وعبقرية محمد للعقاد : ص ٢٠ ، ٢١ ، والحديث النبوي ص ٤٣١ .

٢- موهبته ﷺ التي تتمثل في فطرة صافية ، ونفس مجتمعة فاضلة ، مع صفاء الحس ، ونفاذ البصيرة ، واستقامة الأمر كله . ولقد أذكى هذه الموهبة دوام الفكر ، وطول السكوت ، وحب الخلوة التي كانت له أعظم مربٍّ ، فقد صَفَّت قلبه من كل مشاغل هذا العالم ، لذلك أطلقت عليه الآثار « صفاء الصفاء» وفي الصحراء اتصلت أسرار الطبيعة بأعماق نفسه ، وغمرته في قوة ، فانطلقت شفتاه بهذه الحقائق الخالدة التي انتزعت من « كارليل» المفكر الإنجليزي المشهور صيحة الإعجاب التي يقول فيها « حقًا إن أحاديث هذا الرجل قد صدرت مباشرة عن قلب الطبيعة ومن الطبيعي أن تجتذب أفئدة بني البشر فيستمعوا إليها ويجب أن يستمعوا إليها أكثر مما يستمعون إلى غيرها ،فكل ما عداها هباء، إذا قورن بها »[١].

٣- الإلهام والتعليم والتلقي من الله تعالى ، ذلك أن الله ابتعثه في العرب ، وهم قوم يقادون من ألسنتهم ثم هم مختلفون فصاحة وبيانًا ومناهج قول إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها ، وتخصيص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم ، فكان من تمام البلاغة وكمال الحجة ، أن يخاطب كل قوم بلحنهم ، وعلى مذهبهم ، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا ، وأشدهم لفظًا وأبينهم عبارة ، قال الرافعي ـ رحمه الله ـ « ومثل هذا لا يكون إلا عن تعليم ، وتلقين أو رواية عن أحياء العرب ، حتى يفلي لغاتهم ، ويتبع مناطقهم ، وقد علمنا أنه ﷺ لم يتهيأ له شيء من ذلك ، ولا أحد من قومه ، فليس إلا أن يكون ما خص به النبي ﷺ من ذلك ، فله كان توفية ، أو إلهامًا من الله ، أو ما هذه سبيله ، فقد علمه الله من ذلك أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم[٢] ، وهذا رأي مشتهر عن الأقدمين كمجد الدين بن الأثير ، والقاضي عياض ، والسيوطي وغيرهم ، من قول الرسول ﷺ نفسه « كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام

---

(١) انظر : « محمد رسول الله » : اتتين دينيت ، ترجمة دكتور عبد الحليم محمود ص١٠٦ .

(٢) إعجاز القرآن للرافعي ص ٣١٧ .

فحفظنيها فحفظتها»[1] ، وقوله «أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وربيت في بني سعد»[2].

وسواء كان مصدر السنة وليد تفكير ، وروية ومشاورة كشئون الحرب والسلام أم كان وحي الخاطر وإرسال البديهة كالعديد من شئون الحياة ، أم كان بعد تلبث يسير انتظارا للوحي كما في قصة الرجل المتضمخ بالطيب وعليه جبة جاء ليسأل عن العمرة ، فقد جاءه ﷺ الوحي فقال : «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ، واصنع في عمرتك ما تصنع في حجك» رواه الشيخان ، فكل ذلك يجري على نمط واحد ، وهو أرقى الأساليب البيانية ، وقلما نلحظ فيه تفاوتًا[3] ، وهذا المتبادر من قوله ﷺ «أوتيت الكتاب ومثله معه» وقد تكررت الحكمة بمعنى السنة مقرونة بالكتاب في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران:١٦٤)، (الجمعة:٢) [4] ، وأنزل الله عليك : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (النساء:١١٣)[5].

٤- أمر آخر يلحق بسابقه وهو تأثر النبي ﷺ بالقرآن الكريم في بيانه المعجز ، وهذا التأثر في الواقع ـ خط مشترك بين الأدباء والشعراء العرب إلا أنه أبين وأظهر في الرسول ﷺ ، لأنه أبلغ الناس ، فهو أقدرهم على فهم الوجوه البلاغية في أسرار الإعجاز الإلهي ، ثم إن القرآن معجزته هو التي نزلت عليه يرتله ترتيلا ، متعبدًا متأثرًا يزن كل آية بميزان دقيق ، بحيث يشرق له من الدلائل وآيات الإعجاز وما يهز وجدانه ، ويصير

---

(١) انظر : الشفا للقاضي عياض ص ٤٧١١ ـ والمزهر للسيوطي ص ٢٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص ٤١١ ، وانظر : عبقرية محمد للعقاد ص ٧٥ ، وإعجاز القرآن للرافعي ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٣) انظر : النبأ العظيم هامش ٩٠ وما بعدها ، ومناهل العرفان ٨٣١/١ .

(٤) انظر: الكشاف للزمخشرى : ١٨٩/١ ، ٣٣٦/١ ، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٤٥ .

(٥) انظر : الكشاف وأيضًا في آية الجمعة : ٤٢٣/٤ .

خشوعه حين يتلوه ، وحين يسمعه من سواه ، أخرج البيهقي قال : قال رسول الله ﷺ في يوم دجن : « كيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها ، وأشد تراكمها ، قال كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها ، وأشد تمكنها ، قال : كيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده ، قال : كيف ترون رحاها استدارت؟ قالوا نعم : ما أحسنها وأشد استدارتها ، قال : كيف ترون برقها أخفيًا أم وميضًا أم يشق شقا؟ قالوا : بل يشق شقا . قال : الحياء ، فقال رجل : يا رسول الله : ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب منك . قال : حق لي ، فإنما أنزل القرآن عليَّ بلسان عربي مبين »[1]. وعن عبد الله بن عمر قال : قال النبي ﷺ « أنا محمد النبي الأمي ، لا نبي بعدي ، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، وعلمت خزنة ، وحملة العرش[2] ». قال الرافعي : « إذا كان فن العبقريين هو أس الكلام الإنساني لما خصوا به من هذه التهيئة (تهيئة الجهاز العصبي للاتصال بعالم ما فوق الطبيعة) فإن فنه ﷺ يكون ولا جرم من باب الأكبر ، مما هو أكبر في إلهام الإنسانية كلها »[3]. وهذا حق فالنبي الكريم مع ربه دائمًا ، والوحي متصل بين السماء والأرض ، والنبع المشرق يتفجر دائمًا بالبيان العظيم .

الوضع اللغوي :

بهذا كله كان للنبي ﷺ القدرة على التشقيق البياني فاقتضب ألفاظًا كثيرة ، وتعابير جمة ، وكلها قد صار مثلاً لحسنه البياني ، ولم يقتصر الأمر - وهو جد عظيم - على جوامع الكلم ، والتراكيب الفذة التي لم يسبق إليها بل تناول الألفاظ بالزيادة ، وأجرى فيها اشتقاقات ، وتوسع في معاني بعض ألفاظها كالأسماء الشرعية والأحكام الدينية مما هو معلوم[4] ومن ذلك على سبيل

---

(١) المزهر ١/٢٢ ، ٢٣ .
(٢) الشفا للقاضي عياض ١/١٠١ .
(٣) وحي القلم لأحمد حسن الزيات ٣/٢٠ .
(٤) انظر : البيان والتبيين ٢/٣٠، والمزهر ١/٢٣، إعجاز القرآن ، الرافعي ص ٣٤٧ وما بعدها .

المثال قوله ﷺ : الآن حمى الوطيس ، ومات حتف أنفه ، وتسميته صفر الأول محرمًا ، مما نبه إليه الأقدمون والمحدثون .

موازنة عاجلة :

من بدهيات النقد الحديث أن الأسلوب هو الرجل بمعنى أنه ينبئ بصدق عن طبيعته ، وفكرته ، ونفسه وفطرته ، بيد أن الطباع البشرية لا تتوافى في كل أثر أدبي ، ولا تتعادل العاطفة والفكر دائمًا . والنفوس البشرية كتب عليها النقصان عن الكمال ، من هنا فإن النقاد أحصوا سقطات ونبوات لكل شاعر وأديب ، بل رأينا من عمالقة الشعر ـ من هو كالمتنبي يحلق في أجواء البيان ثم إذا به وقد خذله الطبع والْتَوَت به الصنعة فيهوى ، ويعقد الكلام تعقيدًا ، وهذه العيوب ـ كما يقول الرافعي ـ كتبت على الفصحاء فما يكاد يسلم منها أحد ، ذلك أنهم يؤتون من جهة النفس في ضعفها أو اضطرابها ، أو غفلتها ، أو ما أشبه ذلك من حال تعتري ، وعرق ينزع ، وهي خصال لا تكون لأنفس الأنبياء صلوات الله عليهم [1] . فإذا أضيف إلى ذلك أن نبينا ﷺ كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة وإذا تكلم لا يسرد سردًا ، بل فصل ورتل ، وأبان وأحكم ، بحيث تخرج كل لفظة وعليها طابعه من النفس ، علمنا أن هذا المنطق وذاك البيان النبوي لا يشاركه منطق ، ولا يساميه بيان [2] . وكما قال الجاحظ : لم تسقط له كلمة ، ولازلت له قدم ، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ، . . . لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أصدى لفظًا ، ولا أعدل وزنًا ،

---

(١) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص ٣٣٠ وما بعدها ، وانظر : عبقرية محمد للعقاد ص ٧٥ .

(٢) انظر :التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول،للشيخ منصور على ناصف٣/٢٣٦ .

ولا أجمل مذهبًا ، ولا أكرم مطلبًا ولا أحسن موقعًا ، ولا أسهل مخرجًا ، ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ [1].

المنهج النبوي البلاغي :

تكاثرت الأخبار الصحيحة التي تكشف نهج النبي ﷺ وموقفه من البيان ، فكان يكره التكلف في كل شيء وبخاصة التكلف في الكلام فقال : « هلك المتنطعون »[2] والتنطع في الكلام : التعمق فيه ، والتفاصح ، وقال « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها »[3] وقال :

« أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز هو خير »[4] . وقال : « إن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »[5]، كما عرف عنه إنكاره على من يتكلفون السجع في الكلام[6] ، أما كلامه ﷺ فهو الطبع الخالص لا يتكلف القول ، ولا يعمد إلى تزيينه ، بل هو عفو البديهة ، ووحي الفطرة ولسان الطبيعة ، اتفق على ذلك من كتب في الأدب العربي ، ونظر في الحديث النبوي[7] ، فلا حرج علينا أن نسمي هذا منهج النبي البلاغي أو مذهبه البياني ـ كما أطلق عليه الدكتور « سيد نوفل »[8] ومن هنا فقد كان يقدس الكلمة ويدعو إلى صدقها وصوابها ، سئل ، ما الجمال؟ فقال : في

---

(١) البيان والتبيين بتصرف ٢/٢٩١ .

(٢) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ٥/٦١ .

(٣) المرجع السابق ٥/٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق ١٥/٢٨٥ .

(٥) المرجع السابق ٥/٦٤ .

(٦) المرجع السابق ٣/١٣ .

(٧) انظر في ذلك : البيان والتبيين ٢/٢٩ ، ٣/٢٢٩ ، إعجاز الرافعي ص ٣١٣ ، ٣٦٢ وما بعدهما ، وعبقرية محمد ص ٧٥ ، والنبأ العظيم ص ٦٢ ، والفن ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف ص ٥٢ ، وثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، محمد لطفي جمعة ص ٥٨ .

(٨) انظر : البلاغة العربية في دور نشأتها ، للدكتور سيد نوفل ص ٥٨-٦٠ .

اللسان ، وقال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ، أو ليصمت» ، بل كان ينفر من بعض الكلمات التي لا تواتم الذوق الفطري ، قال لصحابته «لا تقولوا : دع ، دع ، ولا لع لع ، ولكن قولوا : اللهم ارفع وانفع»[1] وقال : «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقصت نفسي» كأنه كره أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه ، كما كره للمسلم أن يقول : كسلت ، لأن المنافقين وصفوا بالكسل في القرآن الكريم[2].

أسلوب عصري :

والرسول ﷺ نبي ورسول ، يصوغ الحقائق الإنسانية ، ويقررها شريعة ، وعاطفة ، وعملاً ، ويتعمق النفس البشرية ، ويرسم لها ما يبصرها ، ثم هو متصل بمصدر الطبيعة الأزلي ، لا يستملي منها ، وإنما يملي فيها[3] ، هو إذن طبيب البشرية أينما كانت ، وأسلوبه يتنزل بردًا وسلامًا عليها ، متى كانت ، وهو بهذا المفهوم أسلوب عصري ، لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة ـ كما يقول العقاد ـ هو أسلوب عصري في جميع العصور[4].

ثقافة النبي ﷺ :

عنوان غريب ، وأغرب منه أن نجد بعض المستشرقين يخبطون على غير هدى ، بعد أن بهرهم ما قرأوا من سنته ﷺ تلك التي فاضت بكل القيم الإنسانية والإلهية الخالدة ، في إطار ونظام من البلاغة مكن لها الخلود فراحوا ينسبون اتصالات وهمية له بالأحبار والرهبان ، والأمم والشعوب تلمذة وتعلمًا ولانلقي بالاً لأمثال هذه الترهات ، فقد يفيد البرهان من يريد صوابًا ، أما

---

(١) انظر : المزهر ١/٤٣ .

(٢) انظر : الحيوان للجاحظ ١/٣٣٥ ، والكشاف للزمخشري ٢/٢٢٥ .

(٣) انظر : وحي القلم للرافعي ٣/٢٧ وما بعدها .

(٤) انظر : عبقرية محمد ص ٧٨ .

الحقد والضغينة فليس لهما من دواء . فهذا التاريخ مفتوح يثبت أن ثقافته ﷺ مرجعها إلى ربه ، ووحيه ، وكفى بالقرآن دليلاً على أنه النبي الأمي الذي علم البشرية ، يقول الأستاذ محمد لطفي جمعه : « إذا كان العلماء أمثال الجاحظ لم يصلوا إلى شيء من آداب هذه الأمم بعد قهرها ، وفتح بعضها ، واندماجها في ملتهم ، فلشد ما كان جهلهم بها في الجاهلية ، وفي أثناء حياة النبي ، قبل الرسالة ، وبعدها ، وإذن يكون أدب محمد وبلاغته ، وفصاحته شخصية فطرية لم تستند إلى علم أجنبي ولا إلى مثال عربي ، ولكنها كانت مصوغة بصيغة جديدة لا عهد للعرب بها ، يتضح الفرق بينها وبين كل ما سبقها ، فكان ﷺ نسيج وحده بين الناطقين بالضاد ، كما كان القرآن نسيج وحده بين الكتب ، فراع كلام النبي معاصريه بما أتى من حكمة وبيان وصواب رأي ، ولم يفرغ الناس من الجدل في محاسن كلمه ، وجمال نثره ، وصدق فراسته ، وسرعة بديهته ، واستكمال مواهبه [1].

كل ما سبق يصل بنا إلى حقيقة لا لبس فيها ، هي أن الله تعالى قد شاء لسنة نبيه ـ بما لها من سمات خاصة خالدة ـ أن تبقى أبدًا مشعة مشرقة ، يقول الرافعي ـ رحمه الله ـ « ولأمر ما كان كلام النبوة خالدًا ، كأنه قيل في كل عصر لأهله وقبيله ، وكأن هذا الزمان إنما هو شاهد يجيء بالبينة على صحة تأويله[2].

* * *

(١) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء للأستاذ محمد لطفى جمعة ص ٥٨١.
(٢) إعجاز القرآن للرافعي : ص ٧٣ .